رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

سرّ لبنان

أنّى قرأتَ تاريخ لبنان ومجتمعيه السياسي والاهلي، تجد فيه حضنا وحصنا لكل المضطهدين والمظلومين وطالبي الحرية والعيش من دون خوف. هو تلك البقعة الصغيرة على خارطة العالم. بقعة ليست مجرد دولة عادية. هي على معناها السوسيولوجي - الديموغرافي والجغرافيا السياسية رمز للتنوع والتعددية.

منذ كان لبنان، بموقعه الجغرافي وتاريخه العريق، قبل التأسيس وبعده، هو رسالة انسانية اخلاقية تذكر العالم بأهمية العدل والحرية والكرامة الانسانية. نموذج فريد للتآخي بين الاديان والثقافات. منارة للأمل لكل من يعاني الظلم والاضطهاد على انواعهما المختلفة. شكل لبنان على مر التاريخ ملجأ للشعوب، كان ارض الفارين من الحروب والاضطهاد الديني والسياسي. استضاف اللاجئين الارمن والسريان، فتح ابوابه للفلسطينيين بعد النكبة عام 1948. كان في العقود الاخيرة ملاذا للعراقيين والسوريين الهاربين من ويلات الحروب والنزاعات التي اندلعت في بلادهم، حتى المختلفين بين بعضهم البعض، سياسيا وعقائديا، قصدوا لبنان. هذا الدور ليس مجرد خيار، بل هو جزء من الهوية اللبنانية التي ارتبطت بالحرية والعدالة والحق الانساني، وجعلت من لبنان رمزا لكل المظلومين.

لبنان، رغم صغر حجمه وموارده المحدودة، لم يتردد في تقديم المساعدة للآخرين. كان على الدوام مساحة سياسية ـ ديموقراطية لاستقبال معارضين إضطهدتهم سلطات بلادهم. هذا السلوك الانساني يعكس قيما اخلاقية راسخة في المجتمع اللبناني، حيث يعتبر تقديم العون للضعفاء واجبا انسانيا ودينيا. ان وجود هذا "اللبنان"، هو مثابة تذكير للعالم بأن الانسانية هي الوجه المشرق للدين، ويجب ان تعلو فوق المصالح السياسية والاقتصادية.

إذا لم يكن لبنان موجودا، لكان من الضروري ايجاده. فالعالم يحتاج الى نموذج يظهر ان التعايش بين المختلفين ممكن، وان التعددية الثقافية يمكن ان تكون مصدر قوة وليس ضعفا، وان التنوع الديني مصدر غنى. لبنان، بتركيبته الفريدة، يثبت ان كل الاطياف يمكن ان يعيشوا معا، لكن تنقصهم ارادة جامعة وقرار صريح وثقة متبادلة، عوامل رئيسية تشكل ركائز بناء دولة عصرية تحكمها القوانين والانظمة.

في زمن تتزايد فيه النزعات العنصرية والتعصب، يبقى لبنان منارة للتعددية والانفتاح. يتكون مجتمعه من فسيفساء طائفية وثقافية اثبتت عبر التاريخ قدرتها على التعايش رغم الصعوبات. استمرار هذا النموذج ليس مجرد مصلحة وطنية، بل هو حاجة عالمية، اذ يثبت ان العيش المشترك ممكن، حتى في أصعب الظروف.

بهذا المعنى، إن استمرار لبنان في اداء دوره كحام للمظلومين والمضطهدين يتطلب ارادة وطنية وجهدا دوليا لحمايته من الازمات التي تهدده، سواء السياسية او الاقتصادية وخصوصا الديموغرافية. لبنان ليس فقط ارضا جغرافية، بل هو رسالة للعالم اجمع تؤكد أن الانسانية لا تزال قادرة على احتضان الضعفاء، وان القيم الاخلاقية يمكن ان تصمد امام المصالح الضيقة.

وجود لبنان، تذكير بأهمية الحفاظ على القيم الانسانية، وفي وقت تتصاعد فيه النزاعات القومية والعنصرية والعالم يزداد انقساما، ويذهب اكثر فأكثر نحو الحروب، يظل لبنان منارة للتعايش والسلام، ورسالة يوجهها للعالم مفادها ان الاختلاف ليس عائقا، بل فرصة للتعلم والتنور، ولنا ان نتذكر ما ورد في السينودس من اجل لبنان "انه رسالة اكثر من كونه بلدا".
المحافظة على لبنان هي اولا مسؤولية اللبنانيين وحدهم، لكن في الوقت نفسه هي مسؤولية المجتمع الدولي بأكمله. فلبنان، بكل ما يمثل من قيم، هو ارث انساني وثقافي وسياسي يجب حمايته من التدخلات الخارجية. لذا وجب على الدول والمؤسسات الدولية ان تدعمه في مواجهة التحديات الاقتصادية والامنية والديموغرافية التي تهدد استقراره.

سقوط لبنان، أو تغيير وجهه السياسي، سيكون خسارة ليس لشعبه فقط، بل للعالم اجمع. من دون لبنان، نفقد نموذجا حيا لإمكان التعايش بين المختلفين مع بعضهم البعض، ونفقد صوتا يدافع عن المظلومين والمضطهدين. لذلك، يجب ان يعمل الجميع على دعم لبنان والحفاظ عليه كرسالة انسانية اخلاقية، ليبقى سرّ وجوده.

إلى العدد المقبل